الآداب
المجلد: 23، العدد: 01، ديسمبر 2023
الصفحات: 156 – 170
ISSN 1111 -4908 EISSN 2588 -2228

آليات الحجاج (الحجج شبه المنطقية في ديوان البحتري)

Argument Mechanisms: Semi-logical Arguments in Diwan al-Buhturi

ط.د. العباس محمد. [1]

أ.د. صغير فاطمة الزهراء. [2]

[1] المركز الجامعي مغنية – الجزائر، med.labbes1313@gmail.com

[2] المركز الجامعي مغنية – الجزائر، diden.bb@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/07/06 تاريخ القبول: 2023/12/13 تاريخ النشر: 2023/12/15

ملخص:

إنّ الشعر العربي القديم حافل بأنواع الحجج، خصوصا شبه المنطقية، لذلك فالهدف الأساس المرجو من هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن طبيعة اشتغال أنواع الحجج شبه المنطقية في ديوان البحتري، وتبيان مدى قدرتها على استمالة المتلقي وإشراكه في استنتاج المقاصد عن طريق إعمال الفكر، وإقناعه على تقبل النتائج.

كون هذه الدراسة اعتمدت على رأي كل من (**بيرلمان** و **تيتيكا**) في كتابهما الموسوم: (مصنف في الحجاج- البلاغة الجديدة) فقد مكنتنا من الوصول لاستخلاص ما في الخطاب الشعري للبحتري من حجج شبه المنطقية، فنجدها قد تراوحت بين حجج شبه منطقية تعتمد البنى المنطقية، وأخرى ترتكز على العلاقات الرياضية، وظفت كلّها لاستمالة المتلقي والتأثير فيه.

كلمات مفتاحية: *آليات؛ الحجج شبه المنطقية؛ استمالة؛ إقناع؛ ديوان البحتري.*

Abstract:

Ancient Arabic poetry was rich in different arguments, especially quasi-logical ones. The main objective of this applied study is to reveal the nature of the operationalisation of kinds of quasi-logical arguments in the Diwan al-Buhturi and to demonstrate the extent to which it can co-opt the recipient and involve him in deducing the purposes through the realisation of thought, and persuade him to accept the results. Relying on the opinion of both Perelman and Tetica in their book 'Musannaf fi al-Hajjaj - New Rhetoric', this study enabled us to reach out to extract the logical quasi-logical arguments of the poetic discourse of al-Buhturi, which ranged from semi-reasonable arguments based on logical structures to

المؤلف المراسل: العباس محمد.

mathematical relationships all of which were used for enlisting and influencing the recipient.
Keywords: *Mechanisms; quasi-logical arguments; grooming; persuading; Diwan Al-Buhturi.*

مقدمة:

إنّ الاهتمام بالحجاج وآلياته بغية إقناع الآخر أمر قديم تجلت بوادره الأولى مع الخطابة الأرسطية، كما وقد أُعيد بعثه من جديد مع محاولة "شاييم بيرلمان" و"لوسي أولبريخت تيتيكا" في مصنفهما الموسوم: "مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة". حيث تعرضا في هذا الكتاب إلى حجج الوصل والفصل، إذ تتفرّع منها: الحجج شبه المنطقية التي تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، وإذ كانت تشبهها فلا يعني أنها هي، بل لا بد من التحري وبذل جهد كبير في بناء استدلالها.

يلفي المتفحص للشعر العربي القديم أنّه حافل بهذا النّوع من الحجاج، حيث يتضمن حججا تختلف من خطاب إلى آخر بحسب المخاطب المتلقي، وعلى هذا الأساس تتبادر للذّهن عدّة أسئلة نظير: هل نجد في شعر البحتري هذا النوع من الحجج (الحجج شبه المنطقية)؟ وكيف تم توظيفها لاستمالة الشخص المتلقي لإقناعه؟

سنحاول من خلال هذا المقال أن نتعرف على مفهوم الحجاج وآلياته شبه المنطقية عند كل من (بيرلمان وتيتيكا) وكذا استخراج تلك الحجج من ديوان شعر البحتري بحسب أنواعها التي فصل فيها صاحبي الكتاب السابق الذكر أي (بيرلمان وتيتيكا) معتمدين في ذلك على المنهج الاستنباطي الاستقرائي الذي يتناسب مع هذا النوع من الدراسة كونها تلامس قواعد المنطق.

إنّ الهدف الأساس المتوخى من هذه الدراسة هو تقصي طبيعة اشتغال الحجج شبه المنطقية من خلال ديوان شعر البحتري، كيف وظفها، ومدى تمكنه من استمالة المتلقي إليها، وما مكمن قوتها الإقناعية، وهذا كله انطلاقا من رأي كل من (بيرلمان وتيتيكا) في كتابهما الموسوم: (مصنف في الحجج – الخطابة الجديدة)، كل هذه الأهداف نرجو أن تتحقق من خلال هذا البحث.

مفهوم الحجاج عند كل من (بيرلمان وتيتيكا):

يرى المؤلفان أن الحجاج عبارة عن بعض التقنيات والوسائل البلاغية الموجودة داخل النص، والتي تحمل المتلقي على الإذعان بما يُعرض عليه، بمعنى محاولة التأثير في عقله من خلال هذه التقنيات لإقناعه؛ لذلك يرى بيرلمان أن الجدل متساوق مع الحجاج؛ لأنه يأخذ منه التماشي الفكري الذي يقود إلى التأثير العقلي في المتلقي؛ "... ويختلف هذا الحجاج عن الخطابة القديمة في أنه إذا كانت الخطابة القديمة تعتمد على وجود جمهور حاضر، إلا أن حجاج بيرلمان لا يشرط حضور الجمهور، فقد يلقى الخطاب إلى المتلقي الكوني"[1].

قد عرّفا الباحثان الحجاج بقولهما: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2].

بناء على ما ورد في التّعريف نرى أنّ المتلقي ركن أساسي في العملية الحجاجية، كونه المخصوص بالخطاب، وإليه يوجه، ولذلك فقد ركزا على الوسائل البلاغية داخل النص بغية تحقيق الإمتاع والإقناع في هذه البلاغة الجديدة.

إذا كانت البلاغة الأرسطية قد جعلت الحجاج متمثلا في الجدل تارة وفي الخطابة تارة أخرى، فإن "بيرلمان" جعل للحجاج شيئا ثالثا غيرهما، وفي الوقت نفسه يعتمد عليهما (أي الجدل وخطابة)، فجعل الجدل يخدم الخطابة والعكس صحيح، ولذلك فهذه البلاغة الجديدة لدى بيرلمان وتيتيكا هي "نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور[3]. ومفاد هذا هو تأثير هذه التقنيات في المتلقي، ومدى اقتناعه بما تطرحه من أفكار.

الحجج شبه المنطقية وأنواعها:

إنّ ما يميز هذا النوع من الحجج كونها تتسم بالنسبية وعدم الإلزام لقبولها الصياغة المنطقية، ووصفت بالشبه منطقية لأنها غير ملزمة كما هو الأمر بالنسبة إلى نظيرتها المنطقية، وعدم الإلزام تلك هي الدعامة الأساسية لكل أشكال البلاغة، وهي كل الحجج التي تقوم على عدم الإلزام، أي أن نتائجها تكون نسبية وغير حتمية (المرجح والمحتمل)، إلّا أن كل حجة منها تستند إلى مبدأ منطقي كالتطابق والتعدية، والتناقض... ولكنها خلافا للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن تردّ بدعوى أنها ليست منطقية.

يقول الدكتور عبد الله صولة: "تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الاقناعية من مشابهتها للطرق الشكيلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، لكن هي تشبهها فحسب، وليست هي إياها"[4].

وتقسم هذه الحجج إلى نوعين:

أ. الحجج الشبه منطقية التي تعتمد البنى المنطقية مثل التناقض وعدم الاتفاق، التماثل والحدّ في الحجاج، والحجة القائمة على العلاقة التبادلية.

ب. الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية مثل: إدماج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه المكونة، والحجج القائمة على الاحتمال[5].

إنّ اعتماد تقنية الحجج شبه المنطقية حاضرة في ديوان البحتري، وحتى نقف عليها سنختار منها ما يتفق معها من نماذج من مواطن مختلفة حتى نقيم الحجة على حضورها وتواترها كمّا ودلالة.

1. الحجج شبه منطقية التي تعتمد البنى المنطقية:

يعتمد هذا النوع من الحجج على المنطق الطبيعي الذي هو جزء من البنية العقلية للإنسان لا المنطق الصوري الأرسطي.

وفي هذا النطاق تقول الدكتورة سامية الدريدي في حقيقة هذه الحجج: "إن كل حجة منها تستند إلى مبدأ منطقي كالتطابق أو التعددية أو التناقض... ولكنها خلافا للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن تردّ بيسر، بدعوى أنها ليست منطقية"[6]. وعليه يكون الإلزام بالصياغة المنطقية الفاصل بين النوعين، فإذا كانت الحجج المنطقية ملزمة، لا تعتمد الحجج شبه المنطقية على مبدأ الإلزام، وإن كان لها "مقام الفكر المنطقي"[7]. وللإشارة أن هذه الحجج ثلاثة أنوع هي:

1.1. التناقض وعدم الاتفاق:

يتعلق التناقض بالأنظمة الصورية، ويقصد بهذا النوع من الحجة أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقد لها، في حين إن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع أو الظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى، لأنّ التناقض داخل المنطق الصوري يجعل النسق غير ملتئم، بمعنى غير قابل للاستعمال، مما يدفعنا إلى تغييره وإلغاء إمكانية التأكيد المتزامن للصادق والكاذب لذا ينبغي الاختيار بين هذا أو ذاك، أما عدم الاتفاق فمجاله حجاجي، ويتمثل في وضع ملفوظين على محك الواقع والمقام مما يحتم اختيار إحدى الأطروحتين

وترك الأخرى[8] وعدم الاتفاق في الحجاج مصدر ظروف الخطاب وطبيعة الأشياء موضوع هذا الخطاب، وقرارات المشاركين فيه. فالحجاج بالتناقض لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون الشيء وضده في آن واحد.

ومن أمثلة هذا النوع من الحجج يقول البحتري:

واستزل الشيطان آدم في الجنة لما أغرى به حواء
وتلفّت إلى القبائل فأنظر أمهات ينسبن أم آباء
ولعمري ما العجز عندي أن تبيت الرجال تبكي النساء[9].

من غير المعقول أن ينسب الأبناء لأمهاتهم بل إلى آبائهم، كما أنّ من العيب والعار أن يبكي الرجال النساء، فالبكاء والعويل من شيم النساء والأيامى والثكالى.

وفي مقام آخر يقول:

ملّما، أم نبابنا، أم جفانا أم قلانا، فاعتاض عنا سوانا
ساخط نبتغي رضاه ولا يسـ أل عن سخطنا، ولا عن رضانا
ونبالي أن لا نرى ذا تجنّ لا يبالي الزمان، ألا يرانا
ضيق العذر في الضراعة، إنّا لو قنعنا بقسمنا لكفانا
ما لنا نعبد العباد إذا كا ن إلى الله فقرنا وغنانا[10].

إنّ التناقض وعدم الاتفاق جلي بين السخط والرضا، فالأجدر أن لا نبالي بالزمان كونه لا يبالي بنا ولا يعيرنا اهتماما، فالعبد إذا رضي بقسمته التي قسمها الله له، كفاه قسمته، فالعبادة خاصة بالله لا بالعباد كونه سبحانه وتعالى عليه التوكل كله فهو الذي يُفقر ويغني، فهناك دعوة صريحة إلى تشبث بالقناعة كونها كنز لا ينفد.

2.1. التماثل والحد في الحجاج:

يقتضي مبدأ التماثل التعريف بالفكرة وضبط حدودها عن طريق الكلمات التي تتفق أو تتشابه لفظا وتتنوع دلالة، وهناك من يسمي الحد في الحجاج بالتماثل التام، وهو ما أشار إليه محمد الأمين سالم الطلبة بقوله: " أمّا التماثل التام فمداره على التعريف الذي يكون فيه المعرف به متماثلين لفظا، الأمر الذي يجعلنا نعتبر اللفظ الثاني محمولا على المجاز وذلك حتى لا تكونا العبارة الثانية حشوا أو تحصيل

حاصل"[11]، فالباحث يفرق بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمات التحديدية التي قد تحمل معاني متعددة لأنّ بعض العبارات التحديدية توفر من حيث الصياغة عبارات دورية " المرأة هي المرأة" إلّا أنّنا نلاحظ في مثل هذه العبارات أن التحقق الثاني يحيل على معنى غير المعنى الأول[12].

ومن أشكال التعريف التي ذكرها "بيرلمان" التعريف الخطابي، وذلك حينما يلجأ المحاجج إلى استعمال التعريف من أجل إقناع المخاطب، واستخدام هذا التعريف ليس من باب تحصيل حاصل، وليس من أجل إعطاء مفهوم خاص للمفردات، وإنما من أجل تذكير مخاطبه ببعض مظاهر الحقيقة التي يمكن أن يتناساها أو يغفل عنها حيث يقول: " التعريف الخطابي لا يستخدم في شرح معنى كلمة، وإنّما لإبراز بعض المظاهر الحافة بواقعة ما من ما من شأنه يعزب عن ذهن السامع"[13]، وممّا يعضّد هذا قول الشّاعر:

الآن علمت أنّ البعث حق وأنّ الله يفعل ما يشاء
رأيت الخثعمي يقل أنفا يضيق بعرضه البلد الفضاء
سما صعدا، فقصر كل سام لهيبته، وغصّ به الهواء
هو الجبل الذي لولا دراه إذا وقعت على الأرض السماء[14].

يشير الشّاعر هنا إلى حقيقة لا يمكن لأيّ كان أن يفندها أو ينكرها ألا وهي أنّ البعث حقّ، وأنّ الله فعّال لما يريد، وبعد ذلك يشير إلى الخثعميّ الذي هو الأسد فالممدوح هاهنا يتصف بشجاعة وأنفة قلّ نظيرها فعلى الرغم من شساعة البلد فقد ضاقت أرضه بما رحبت، وغدا يقرّب كلّ قاص بهيبته، فأضحى بمثابة الحصن الحصين والجبل الشامخ الذي لولاه لوقعت السماء على الأرض.

ماء وجه، إذا تبلّج أعطا ك أمانا من نبوة الدهر ماءه
يتعالى ضياؤه، فيجلي ظلمة الحادث المضب ضيائه[15].

يشير الشّاعر إلى حقيقة هي نقاء سريرة الممدوح، وصفاء نفسه فهو بذلك منبع للأمن والأمان.

3.1. الحجة القائمة على العلاقة التبادلية:

تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما سبيل إلى الأخرى معالجة واحدة وهذا يعني أن هاتين الوضعيتين متماثلتان، وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل[16]، ويقتضي هذا المبدأ التعامل مع العناصر المنتمية إلى وضعيات متشابهة معاملة واحدة، ومن ذلك تطبيق العدالة بين الأفراد والقضايا التي يربطها رابط سببي واحد، أي ما ينطبق على الأول ينطبق على الآخر لأنّ الحجج القائمة على العلاقة

التبادلية تتمثل في محاولة المواءمة بين الحجج العكسية، ويمثل "بيرلمان" لها بمقولة تعتمد التناظر: " ضع نفسك مكاني" فالعلاقة التبادلية قوامها التناظر والتسوية بين الطرفين.

يوضح – ما سبق ذكره– ليونال بلنجي بقوله: " إنّ الحجاج عن طريق العلاقة التبادلية التي تقوم عليها الحجج الشبه منطقية عديدة يصبح ممكنا شرط تناسي كل ما يفرق بين الأوضاع وتعديلها لا بشكل تبدو معه متطابقة"[17].

ومن نماذج هذا قول الشّاعر:

طيف الحبيب ألم من عدوائه وبعيد موضع أرضه، وسمائه
جزع اللّوى عجلا، ووجه مسرعا من حزن أبرقه، إلى جرعائه
يهدي السلام، وفي اهتداء خياله من بعده، عجب، وفي اهدائه
لو زار في غير الكرى لشفاك من خبل الغرام، ومن جوى برحائه
فدع الهوى، أو مت بدائه إن من شأن المتيّم، أن يموت بدائه[18].

حينما تؤثر الحبيبة البعاد عن الديار، سيغدو المحبّ سجينا لهذا الحب الذي ولّد فيه حزنا عميقا لا سبيل لاندثاره إلّا زيارة الحبيب، فالهوى داء، فالمتيّم إن لم يدع الهوى مات بدائه تلك نهاية كلّ محبّ مغرم متيم.

ومن أمثلة هذه العلاقة كذلك قوله:

أبا يوسف سمح ما أتيت ولم يكن مثلك يأتي السمح
وشرّ المسيئين ذو نبوة إذا ليم فيها تمادي، و لجّ
هلمّ إلى الحق نسري إليه بحجتنا فيه، أو ندلج
ونعتمد الصدق حتى يضيء لنا مظلم الأمر أو ينبلج
وفي موقف ما لنا بعده تنازع النجوى، ولا معتلج
فمن أبرأ الحكم فيه نجى، ومن الحجج الحكم فيه لحج[19].

فهنا تذكير الشاعر لأبي يوسف بقبح أفعاله وتصرفاته، فشرّ المسيئين إذا تمادوا فيه، فهو يدعوه إلى الحقّ والابتعاد عن كلّ ما يدنّس نفسه، فاعتماد الصّدق هو المنفذ الوحيد، فيه تتضح الرّؤية، وتذوب الأحقاد وتضمحل الضغائن، فمن احتكم وانصاع إلى الحكم نجا ومن حاد عنه مال واعوجّ.

2. الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

إن هذا النوع من الحجج تخضع للقوانين الرياضية، يكون شبه منطقي، لأنه من صنع الكاتب، فهو يتحكم به ويؤلفه من خياله مقتربا به إلى حدّ كبير من البراهين الرياضية، ومن أمثلته: حجة التعدية، وإدماج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه المكونة، بالإضافة إلى الحجج القائمة على الاحتمال.

1.2. حجة التعدية:

هي عبارة عن علاقة متشابكة بين الأقوال المترابطة، فعلى سبيل المثال إذا كانت (أ) مرتبطة بـ (ب)، و(ب) مرتبطة بـ (ج)، فإن هناك ارتباطا ما بين (أ) و(ج). "ومن أحسن الأمثلة على ذلك الحكمة التي تقول: (عدو عدوي صديقي)؛ حيث يدعم الطابع شبه المنطقي في هذه الحكمة ما يمكن أن يستنتج منها، وهو (صديق عدوي عدوي)"[20].

أساس هذه الحجة وجوهرها المعادلة الرياضية التالية[21]:

أ X ب
ب X ج
⟵ أ X ج

إنّ أغلب الدراسات المتصلة بالحجاج تقدم المثال نفسه لتوضيح ما يسمى: حجة التعدية هو القول: إن صديق صديقي، صديقي أو عدو صديقي، عدوي، والواقع أن التعدية خاصية تعود إليها أصناف كثيرة من الحجج نجدها فعلا بطريقة خفية وبأثواب مختلفة (تعدية بواسطة علاقة تساو أو تفوق أو تضمين أو اشتمال...)

تعاللت عن وصل المعنى الصب ... وأثرت بعد الدار منا على القرب
وحملتني دنب المشيب، و إنه ... لدنبك إن أنصفت في الحكم لا دنبي
ووالله ما اخترت السلو و لا الهوى ... ولا لاحقت عمى تعهدني من الحب
ولا ازداد إلّا جدة، و تمكنا ... محلك من نفسي وحظك من قلبي
فلا تجمعي هجرا ولا عتبا، فلم أجد ... جليدا على هجر الاحبة والعتبى[22].

الحجة الأولى (أ): العاشق.

الحجة الثانية (ب): بعد الحبيب.

الحجة الثالثة (ج): العذاب والجفاء الذي خلّفه هذا البون والهجران.

إن التعدية في هذا النص الشعري أسستها علاقة التساوي، بعد أن أقام الشاعر الروابط بين العاشق وبعد الحبيب وما خلفه ذلك البعد والهجران من عذاب من جهة أخرى، توصل إلى نتيجة مفادها أن لا حياة للعاشق بمنأى عن الحبيب فإلى جانبه يحلو العيش وتزهو الحياة، ودون ذلك لابد أن من أن يحيا الشقاء والعذاب.

أبا جعفر؟ ليس فضل الفتى إذا راح في فرك إعجابه
ولا في فراهة برذونه ولا في نظافة أثوابه
ولكنه في الفعال الكريم والخطر الأشرف النابه
رأيتك تهوى اقتناء المديح وتجهل مقدار إيجابه
وكيف ترجى وصولا إليه ولم تتوصل بأسبابه
لئن كنت أمنحه الأكرمين فما انت أول أربابه
وإن اتطلب به نائلا فلست مليئا بإطلابه
وإن أتصدق به حسبة فإن المساكين أولى به[23].

لا تكمن قيمة الفتى في فرك إعجابه ولا في نظافة ثوبه ولا أناقته، بل قيمته تكمن في الفعال الكريمة والشرف، فلا يحقّ لأيّ كان أن يرجى مرتبة الكريم وهو لم يتوصّل بأسبابه، بمعنى آخر لا يمكن لهذا الفتى أن يتبوأ مرتبة الكرام وهو لم يأخذ بالأسباب.

الحجة الأولى (أ): التفاخر والتعالي والتكبر.

الحجة الثانية (ب): الأخلاق والمكارم والفضائل.

الحجة الثالثة (ج): الكريم كريم الفعال والأخلاق.

إن التعدية في هذا النص الشعري قائمة على أساس التساوي، حيث أقام الشاعر الروابط بين التفاخر والتعالي والتكبر والأخلاق والمكارم والفضائل، أفضى ذلك إلى نتيجة أن الفتى يكون كريما بقدر ما اتصف من أخلاق حميدة وأفعال كريمة.

2.2. تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:

ينص هذا الصنف من الحجاج على تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وبيان أن حكما ما ينطبق على كل جزء من أجزائه تبعا لذلك على الكل، على هذا النحو يبدو هذا الصنف من الحجج مقنعا في ظاهره بصبغته الرياضية الواضحة، ولكنه في الحقيقة لا يغدو أن يكون شبه منطقي فحسب لأنّ الأجزاء لا تعبر بالضرورة في كل الحالات عن الكل.

إنّ الغاية الأساسية من استخدام هذا النوع "حسب "بيرلمان" هو البرهنة على وجود المجموع ومن ثمة تقوية الحضور، بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه"[24].
ويعتمد على هذا المبدأ: مبدأ تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له برهان أخر يسمى: البرهان ذو الحدين وهو شكل من أشكال الحجج يتناول فرضيتين ليستنتج أنه سواء أوَقَعَ الاختيار على الأولى أم الثانية نصل إلى الفكرة نفسها ، وذلك لأحد الأسباب التالية: إما لأنهما تقودان إلى النتيجة ذاتها وإما لأنهما تقودان إلى نتيجتين لهما القيمة نفسها (ويكونان عادة أمرين يخشى حدوثهما) أو لأنهما يقودان إلى حالة عدم الاتفاق مع قاعدة نتقيّد بها.
يقول البحتري:

بقيت مسلما لمسلمينا و عشت خليفة لله فينا
لقد أنسبتنا بدلا و عدلا أبوتك الهداة الراشدينا
أراد الله أن تبقى معنا فقدر أن تسمى مستعينا
وقيناك المنون، و إن حظا لنا في أن نوقيك المنونا
أرى البلد الأمين ازداد حسنا إذا استكفيته العف الأمينا
ندبت له ابنك العباس لما رضيت بهديه خلقا، ودينا
شرحت به الصدور، غداة جاءت ولايته وأقررت العيونا
فقد صدر الحجيج، وهم وفود بشكرك راحين، ومغتدينا
أقمت سبيل حجهم بدر، أضاء السهل فيهم والحزونا
بأزكى هاشم حسبا، وأرضا هم نفسا، وأنداهم يمينا
وحسب كأنه في كل حال شبيهك يا أمير المؤمنينا

يسرّ المسلمون بأن يـــــروه لديك وليّ عهد المسلمينـــــا
فجدد عقـــد بيعتـــه تجدد لهم خفضا، من الدنيا، ولينـــا
ظنون النـــاس تذهب فيه علوا فحقق منعمـــا تلك الظنونـــا
تراه مباركا جمعـــت عليـــه محبـــات البريـــة أجمعينـــا[25].

الكلّ هو الخليفة وما اتصف به من خصال حميدة وأفعال جليلة، ومن ثمّ نجد أنّ البحتريّ قد قسم هذا الكلّ وجزأه حيث ابتدأ بتعداد صفات الخليفة وخصاله وعرّج بعد ذلك على تقديم ابنه العباس هدية نصرة للدين الإسلامي وبعدها ذكر مدح الحجيج الوافدين والغادين لما رأوه فيه من حسن الاستقبال وكرم الضيافة، هذا كله جعل قبيلة ابن هاشم تتبوأ مكانة مرموقة بين بقية القبائل فبذلك نال رضا المسلمين خاصة، وإعجاب الناس والبرية جمعاء.

وفي معرض آخر يقول:

دعوتك لصبـوح، وقلـت سبـت يحـث على الصبـوح ومهرجـــان
وغيـــم، قـد تعلـق مستقـــلا عليـه، بديمـة سـح، ضمـــان
وندمـــان يســـرك أن تـــراه لـه من قلـب كـل أخ مكـــان
كيعقـــوب ابـن أحمـد، أو أبيـه وعن يعقـــوب يفتـر الزمـــان
كريـــم مـــن أرومـــة شيـــرازاد تفخمـــه الجهـــارة والبيـــان
هجـــان منهـم، ولـرب مجـــد أتـــاك بـه أغرهـــم الهجـــان
أراد معاشـــر أن يبلغـوهـــم وكيـــف يقـــاس بالخبر العيـــان
ومـــا تخفى المكارم حيث كـــانت ولا أهـــل المكـــارم حيث كـــان[26].

يشير هذا النموذج الشعري إلى الكلّ الذي هو الخليفة يعقوب بن أحمد وما اتصف به، إذ فصّل الشاعر هذا الكلّ إلى أجزاء، فعدّد الصفات التي تجعل الإنسان يتعلق بأخيه الإنسان السوي، والإلحاح والسعي إلى لقائه ورؤيته لأنّه موطن الأخوّة والرّحمة والرّأفة ومنه يعقوب بن أحمد، ضف إلى ذلك كرمه وشجاعته، فمن ثمّ حقّ له أن تتجلى المكارم حيث حلّ وارتحل، فالكريم كريم، والمكارم مكارم.

3.2. إدماج الجزء في الكلّ أو حجة الاشتمال:

هذا النوع من الحجاج يقوم على مبدأ رياضي هو أن ما ينسحب على الكل ينسحب على الجزء من هذا الكل، واضح إذن أن هذه الحجة تقوم في جوهرها على رؤية كمية، فالكل يتضمن الجزء من ثمة فهو أهم بكثير من الجزء ولذلك أيضا تعد قيمة الجزء مناسبة لما تمثله إلى الكل، ومن أمثلته قوله:

عيرتني المشيب، وهي بدته في عذاري، بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه حلا الشباب
وبياض البازي أصدق حسنا إذا تأملت من سواد الغراب[27]

فهذه الأبيات الثلاث تحيل على أن الشيب جلى الشباب، أي أنّ كلمة شيب يشترك فيها كل الشيوخ وطاعني السّن، فالإنسان الذي ظهر عليه الشيب مهما كان سّنه تعدّ نتيجة حتمية يشترك فيها كلّ الشيب والشباب.

وإذا الفتى صحب التباعد واكتسى كبرا عليا، فلست من أصحابه[28].

لا يحبّذ الشاعر الفتى الذي يؤثر البعاد والتّكبر والتّرفّع، إذ لا يروق له صحبة هذا النوع، بل يحبّذ الفتى الذي يوثر القرب والتّواضع، فما من فتى يؤثر البعاد والتّكبّر والتّرفّع على الآخرين فهو ليس من أصحابه، فالشاعر يفخر بتواضعه ورقة نفسه وقربه من الآخرين، فهو يفخر بصحبته للفتيان المتواضعين الذين هم إلى جنبه.

4.2. الحجج المبنية على الاحتمال:

إنّ ما يهدف إليه المرسل عموما يتلخّص في نقطتين أساسيتين هما: الإعلام أو التعبير من أجل إقناع المتلقي باعتماد الحجاج الصرف أو المغالطة، ونقصد بالحجاج الصرف تلك الحجج المنطقية، وإنّما نقصد الحجج شبه المنطقية كون الحجاج لا يكون إلّا في قضايا تحتمل الاعتراض، وذلك أنّ نتائج الحجاج تبنى على الاحتمال والترجيح لا على اليقين. والترجيح عادة يكون بلعلّ أو قد أو ربّما وهذا ما يتضح من خلال النماذج الشعرية الآتية:

لعلّ أبا العباس يرضى أميره، فيقرب منّا ما نروم ويسهل[29].

ويقول البحتري في بيت آخر:

لعلّ اللّيالي يكتسين بشاشة فيجمعن من شمل النوى المتقادم[30].

ويقول أيضا:

قد ترى دارســـات تلك الرســـوم، وغـــرام المعـذول فيهـــا، الملـــوم[31].

ويقول في بيت آخر:

قد علّمت أنّني لم أرض كاشحهـــا فيها ولم أستمع من قــول واشيهـــا[32].

كما يقول:

فلربّمـــا لبّيت داعيــة الصّبـــــى، وعصيت من عذل، ومن تأنيـــب[33].

خاتمة:

فمن خلال عرضنا حول الحجج شبه المنطقية التي اشتمل عليها ديوان البحتري أفضى بنا ذلك إلى جملة من النتائج، أهمها:

الحجج شبه منطقية أخذت من المنطق بنيته وقبولها للصياغة المنطقية، واختلفت عنه في كونها غير ملزمة للمتلقي بدعوة ونتيجة الحجاج كما هو الأمر في الحجج المنطقية التي تجبر المتلقي على تقبل النتيجة.

تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، ما يكسبها قالب منطقيا شكليا، تجمع فيه المعطيات وتكيّف، فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم.

يضع البحتري المخاطب بين أمرين متناقضين ليدفعه إلى دحض القضية الخاطئة وتقبل القضية الصحيحة بغية محاربة الفتور في تفكيره ودفعه إلى إعمال الفكر.

استعان البحتري بحجة التماثل والحد في الحجاج بغية توضيح المفاهيم للمخاطب بغرض التوافق معه على أسس مشتركة بهدف إقناعه بشكل أفضل.

يعالج البحتري بواسطة الحجج القائمة على العلاقات التبادلية الوضعيتين المتعاكستين فيساوي بينهما ليصل بالمخاطب إلى إقامة مبدأ العدل ويوجهه إلى استنباط المقصود من الحجاج.

حجة إدماج الجزء في الكل تدفع بالمخاطب إلى التسليم بأن الحكم الذي يطلق على الكل يمكن سحبه ليطلق على الجزء

اعتمد الخطاب الحجاجي حجاجية التقسيم، والتي يقسم الكلام بموجبها إلى الأجزاء المكونة له، وهو الأمر الذي يفعل مشاركة الأجزاء جميعا دعما لأطروحة الكلام الجامعة الكلية، وهي بذلك تعطي الإيضاح للمتلقي عمى خفي من أجزائه وما كان غامضا.

الهوامش و الإحالات:

[1]– Chaim Perlman et Lucie- Olbrehts Traite: Traite de L'argumentation 5eme Edition, Editions de L'universite de Bruxelles.1992, p 05

نقلا عن: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الفارابي، ط 1، بيروت، 2001، ص 27.

[2]– المرجع نفسه،ص 27.

[3]– صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، ط 1، سوريا، 2008، ص 21.

[4]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2011، ص 42.

[5]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 42.

[6]– سامية دريدي، بنية الحجاج و أساليبه في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، ط2، اربد– الأردن، 2011، ص 191.

[7]– يلونيل بلانجر، عدة الأدوات الحجاجية، ترجمة: قوتال فضيلة، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه و مجالاته –دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة)، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد– الأردن، 2010، ص 418.

[8]– المصدر نفسه، ص 42، 43.

[9]– البحتري، الديوان، دار الراتب الجامعية، (د.ط)، لبنان، 2008، ص 18.

[10]– المصدر نفسه، ص 316.

[11]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2008، ص 128.

[12]– محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية، دار الأمان، ط1، الرباط– المغرب، 2005، ص378

[13]– عبد الله صولة، الحجاج أطره و مطلقاته و تقنياته من خلال" مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة"، بيرلمان و تيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الأدب و الفنون و العلوم الإنسانية، كلية الأدب، منوبة– تونس،1998 ، ص 45.

[14]– البحتري، الديوان، ص 18.

[15]– المصدر نفسه، ص 19.

[16]– عبد الله صولة، نظرية الحجاج، ص 45.

[17]– محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 201.

[18]– البحتري، الديوان، ص 22.

[19]– المصدر نفسه، ص 64.

[20]– عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 329.

[21]– سامية دريدي، بنية الحجاج وأساليبه في الشعر العربي القديم، ص 203–204.

[22]– البحتري، الديوان، ص 42–43.

[23]– المصدر نفسه، ص 43.

[24]– عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص 311.

[25]– البحتري، الديوان، ص 317.

[26]– المصدر نفسه، ص 324-325.

[27]– المصدر نفسه، ص 48.

[28]– المصدر نفسه، ص 45.

[29]– المصدر نفسه، ص 264.

[30]– المصدر نفسه، ص 306.

[31]– المصدر نفسه، ص 307.

[32]– المصدر نفسه، ص 365.

[33]– المصدر نفسه، ص 38.

قائمة المصادر و المراجع:

1. Chaim Perlman et Lucie- Olbrehts Traite: Traite de L'argumentation 5eme Edition, Editions de L'universite de Bruxelles.1992.

نقلا عن: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الفارابي، ط 1، بيروت، 2001.

2. صابر الحباشة، التداولية و الحجاج، مداخل و نصوص، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، ط 1، سوريا، 2008.
3. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات و تطبيقات، دار الجنوب للنشر و التوزيع، ط1، تونس، 2011.
4. سامية دريدي، بنية الحجاج و أساليبه في الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، ط2، اربد- الأردن، 2011.
5. يلونيل بلانجر، عدة الأدوات الحجاجية، ترجمة: قوتال فضيلة، ضمن كتاب الحجاج (مفهومه و مجالاته- دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة)، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد- الأردن، 2010.
6. البحتري، الديوان، دار الراتب الجامعية،(د.ط)، لبنان، 2008.
7. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2008.
8. محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية، دار الأمان، ط1، الرباط- المغرب، 2005.
9. عبد الله صولة، الحجاج أطره و مطلقاته و تقنياته من خلال" مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة"، بيرلمان و تيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الأدب و الفنون و العلوم الإنسانية، كلية الأدب، منوبة- تونس 1998.